

ولكن يجب أن نلاحظ أن الخطاب الحرفي يبدأ ثورياً متطرفاً، وينتهي رجعيّاً مغرقاً في الرجعية. فالمفسر الحرفي البسيط يبدأ بأن يتجاوز التفسيرات المؤسسية المركبة السائدة، التي قد تبرر سلوك الطبقات الحاكمة. ولكن ما يحدث أنه بعد المرحلة الثورية المبدئية، تظهر الطبيعة الرجعية المحافظة للتفسيرات الحرفية، فهي تجعل الواقع المباشر، الزماني والمكاني، مرجعيتها الواحدة، ولا تتجاوزه.

ويمكننا أن نقول إن معظم الحركات الشمولية، اليمينية واليسارية، حركات حرفية، فهي حركات لها كتبها المقدّسة (أعمال هتلر- كتابات ماركس- كتابات لينين- العهد القديم) التي تحتوي على كل ما يلزم للتعامل مع الواقع المادي (فثمة تطابق كامل بين النص المقدّس وهذا الواقع). وإن حدث أن اختلف الواقع عما جاء في النص المقدّس، فإنه يتم إصلاح الواقع بالقوة حتى يتفق وحرفية النص. وبالتالي . . عادة ما ترتبط التفسيرات الحرفية بالبُعد العسكري. كما حدث في حروب الفرنجة، وكما حدث في العصر الحديث مع الصهيونية، التي ادّعت أن صهيون (المجازية) هي فلسطين (الحرفية). ولفرض الرؤية الحرفية على الواقع، كان لابد من البطش والضرب بيد من حديد على من يعوق مسيرة التقدم الصهيونية.

وأرى أنه حين نستخدم كلمة «أصولية» فلا بد أن نردفها بكلمة «حرفية»، حتى نفرق بين هذه الحرفية والأصولية الحقّة التي تصدر عن الإيمان بأن الإله متجاوز، وأن العالم المادي ليس هو البداية والنهاية، وأن مركزه ليس كامناً فيه. ولذا، فإن ثمة ثنائية لا يمكن محوها تجعل التفسيرات الحرفية أو (الباطنية) الواحدية تعجز عن تفسير عالم مركب، فهي تعبير عن الرغبة الجنينية الكمونية في الهروب من التركيب والثنائيات الفضفاضة.

المسيحية والتفسيرات الحرفية:

العقيدة الألفية الاسترجاعية في التراث المسيحي، التي تذهب إلى ضرورة توطين اليهود في فلسطين (استرجاعهم لها)، حتى يمكن أن يعود المسيح ويبدأ